الكتب

على هامش كتابين

١ — مع النـــــاس

تأليف الأستاذ محمد علي الحوماني

الأستاذ الحوماني أديب لبناني جمع إلى أدبه الفياض وشعره الرصين وحديثه الطلي ، سرعة الخاطر ودقة التعبير وسلامة الأسلوب ، وهو عربي يعتز بعروبته ووطنيته . بدأ حياته مجاهداً ضد الاستعمار الفرنسي — وهو ما يزال في مقتبل العمر وفي فجر الحياة ، غض الإهاب لين العود — فأحيل إلى المجلس التأديبي ، ولكنه لم يستخذ ولم يستسلم ، ففر إلى شرق الأردن حيث أخرج ديوان الحوماني (سنة ١٩٢٦) ، وديوان نقد الناس والنفوس (سنة ١٩٢٨) .

ومنذ ذلك الحين اضطربت به نوازع الحياة ودوافع السياسة ، فأخذ يتنقل بين وطنه (الشرق العربي كله) وبين المهجرين الأمريكي والأفريقي . وكان في كل بلد يصل حبله بقادة الرأى وزعماء السياسة وأهل الفكر يبادلهم الحديث ويناقشهم الخاطرة ، وتفجر الحديث — في هذه المجالس — فنوناً ، وتنبثق من أبحاث قيمة ناضجة في الأدب والعلم والسياسة والاجتماع والفن . فهو — من ناحية — يتحدث عن الموسيقى حديثاً عبقرياً فيقول : « الموسيقى هى واحد من هذه الأشياء التى لا تستطيع التعبير عنها بأكثر من أنها لغة تخاطب الروح مباشرة دون ما رمز من إشارة أو تصوير . أما الموسيقى ، الموسيقى العبقرية ، فإن الروح تتناولها من يد العازف على رنة الوتر دون ما جهد أو إعنات ، وتسليل هذه الهزة الروحية التى يتأثر بها السامع وهو يصغى إلى توقيع الفنان يكاد يعجز بيان المفكر الحاذق » . وهو — من ناحية أخرى — يتحدث عن الدين : « فالعروبة فى أى زمن تستهدف للزوال إذا لم يعضدها الدين ... »

هذه المجالس ، وهذه الأحاديث ، عمل فنى جليل لا عجب إن قام به المؤلف ، وهو صاحب مجلة (العروبة) اللبنانية . ولقد ضمنها كتاب « مع الناس » ، وهو كتاب فيه ألف فكرة لألف رجل ، والمؤلف فكرة واحدة هى إيمانه بقول سيد العرب (ص) : « لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها » . وهو دائرة معارف عربية يستطيع المرء أن يرى من خلالها العقل العربى وهو يضطرم فى الشرق والغرب معاً ، وأن يعيش حيناً بين أهل الرأى وسادة الفكر من العرب يجس نبضات قلوبهم وخلجات أفكارهم ونوازع أنفسهم ، فيلمس — من قريب — آراءهم وخواطرهم ، ويشرف على آمالهم وأمانيهم

وإن القارئ ليجد خواطر المؤلف منبثة بين أعطاف الكتاب فى سطور متناثرة هنا وهنالك ، يستطيع الأديب الدقيق أن يضم أخواتها بعضاً إلى بعض لتصبح مبدأ يقول بأن الأمة توشك أن تنهار إن هى لم تمسك بجهدها بثلاثة أشياء متساندة مترابطة هى : اللغة والأخلاق والدين . فهو يؤمن بأن « اللغة قبل كل شىء ، لأنها العنصر الذى يتقوم به أمجاد الأمة ، فعلينا أن نعلم الولد كرامة أمته ونجمعها فى الكلمات العربية ليقرأها ويشعر أنه يشرف على مجده وعزته القومية من خلال الحروف والكلمات » . وهو يؤمن بأن « الثورة التى تقوم فى العالم على أساس الأخلاق ، إنما تمهد للانسانية فتسمو وتصعد إلى مستوى الملكوت . أما الثورة من أجل السياسة ، أو العصبية للعنصر أو الوطن ، فإنما هى مدعاة للتناحر لا تنفك تفتك فى البشرية حتى تصل بها إلى العهد الذى نحن فيه : علم يصعد إلى السماء لينحل قنابر تتفجر أو مدافع تدمر تعود بنا إلى دور الوحشية الذى تمسنا الحاجة فيه إلى أمثال موسى وعيسى ومحمد ... » وهو يعتقد بأن « التعصب للدين ليس عقبة تصدم الإنسان فى نهوضه إلى الحياة الحرة كما يتوهم من لا يفقه الدين ، فإنا نرى اليهود فى العالم كله يتعصبون لدينهم وتراهم محسودين من جميع العالم ، والعالم مسخر لهم ، وهم بضعة عشر مليوناً . فلو تعصب المسلمون لدينهم تعصب اليهود — ودينهم مدنى فوق كل دين — لكانوا المثل الأعلى على هذه الأرض ... »

وهكذا يرى المؤلف أن اللغة والأخلاق والدين هى العُمُد الثابتة المتينة التى يجب أن تكون أساساً لرقى الأمة وسموها ...

وحبذا لو أخذنا بهذا الرأى ، حبذا ...

وإن الكاتب ليحس صعوبة شديدة فى الكتابة عن هذا السفر لما فيه من آراء متفرقة وأبحاث متشعبة ، بقدر ما يلمس القارئ فى قراءته من لذة ومتعة . وإنى لا أجد ما أقدم به هذا الكتاب إلى قراء العربية سوى أن أقول : إنه دائرة معارف تسمو بقيمتها ورواتها .

٢ - اصطلاحات عربية لفن التصوير

تأليف الدكتور بشر فارس

هذا « مبحث ألقى فى المجمع العلمى المصرى فى جلسة علنية فى السابع عشر من شهر مايو سنة ١٩٤٨ » ، وهو معجم يحتوى على اصطلاحات فرنسية فى فن التصوير عدتها تسعة وثلاثون ومائة جمعها الدكتور بشر ورتبها على حروف المعجم الأفرنجى وترجمها هو ، فصارت مرجعاً قيماً للباحث والكاتب والقارئ ، ثم أخذ يوضح مدلولات الألفاظ العربية المقابلة للتعبير الفرنسى « وقصر الكلام هنا على الكلمات التى هى من ثمرة بحثه وعدتها خمس ومائة » .

وخشى المؤلف أن يعثر المطلع فى معجمه على لفظة خشنة ، أو اصطلاح جاف ، فاستدرك يقول : « وترانى فى أثناء النقل أتقرب ما استطعت من اللغة الجارية عندنا لهذا الزمن ، متلفتاً إليها ، أو مستشهداً ، خشية أن تتسع الفجوة بين الذوق السائد واللفظ المستنبط فيموت وليداً » .

ولقد كتب الدكتور بشر تصديراً لهذا البحث جاء فيه : « على أن أحداً لا يشك فى أن لغتنا الكريمة وإن زخرت بالألفاظ وعلت بالتعبيرات لتقصر اليوم من الأداء الأفرنجى فى صنوف الفنون والصناعات . وكأنى بك ترى اضطراباً واختلالاً فى أكثر مايقع عليه بصرك . لذلك بدا لى أن أهيئ طائفة من الاصطلاحات الدائرة فى باب التصوير وما يجرى مجراه ، عسى أن تستقيم أداة التأليف ، وتندفع آلة النقل ... »

هذا هو رأى الدكتور فى اللغة العربية ، فهو يراها قاصرة عن الأداء الإفرنجى فى صنوف الفنون والصناعات . وأنا لا أوافقه فى ما ذهب إليه ، فإن لغتنا الكريمة لم تضق يوماً بعلوم اليونان حين بدأت النهضة العلمية الإسلامية ، وحين ازدادت نشاطاً وقوة فى العصر العباسى ، فراح العرب — إذ ذاك — ينقلون علوم الفلسفة والطب والفلك والرياضيات ، فنقلوا — فى سنوات — مئات من أمهات الكتب فى الفنون المختلفة . ولم تعجز عن أن تقتحم باب العلوم الرياضية حين نقل « محمد بن موسى الخوارزمى » أرقام الحساب عن الهنود وأدخلها فى العربية ، وحين وضع « الصفر الحسابى » فحل بذلك أكبر معضلة رياضية فى العالم ، وحين وضع جداول اللوغارتمات وهى ما تزال تحمل اسمه حتى اليوم فهو يعرف عند الفرنجة باسم Algoritmi . ولم تقصر عن أبحاث الميكانيكا والايدروستاتيكا بين يدى « أبى الريحان البيرونى » حين وضع كتابه « الآثار الباقية » . ولم تضعف أمام أبحاث « الحسن بن الهيثم » فى الضغط الجوى — وهو قد سبق فى ذلك البحث تورشيللى بخمسة قرون أو أكثر — ولا فى البصريات . وإن أبحاث ابن الهيثم التى استغرقت نيفاً وستين كتاباً كلها فى العلوم التعليمية (الطبيعية) ما تزال مرجعاً يهتدى بنوره علماء الغرب للآن .

هذه اللغة التى وسعت كل هذه الأبحاث ، وهى أس النهضة العلمية فى أوربا ، ووسعت غيرها مما يضيق عن سرده هذا المقام ، لا إخالها تقصر عن الأداء الإفرنجى فى صنوف والصناعات .

على أنى ما زلت أعجب أن يقول الدكتور بشر بذلك وهو نفسه قد استعان باللغة العربية — فى معجمه — فى التعبير عن الألفاظ اللاتينية المقابلة . ولو أنها عجزت عن هذا الأداء لما أمدته بهذه المصطلحات .

ومها يكن من خلاف بين رأى المؤلف ورأيى فإنه لا يسعنى إلا أن أعترف بأنه قد بذل جهداً عظيما مشكوراً فى تصنيف هذا المعجم

كامل محمود حبيب